البداوة مظاهرها وتجلياتها في شعر الحسين بن مطير الأسدي*

يونس إبراهيم أحمد العزي،
كلية التربية الأساسية / عقرة جامعة دهوك العراق

الملخص:

يتناول هذا البحث البداوة في شعر الحسين بن مطير الاسدي، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ولد في حدود سنة (100 هـ) وتوفي سنة (170 هـ)، وقد حاول البحث تتبع مظاهر البداوة وتجلياتها في شعره من خلال اللغة والأسلوب، والوصف والتصوير، والأغراض والموضوعات، ولذا اقتضت منهجية الدراسة تقسيم البحث إلى محورين : تناول الأول (مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير) وذلك من خلال دراسة أغراضه الشعرية التي طغى عليها طابع البداوة كالوصف والغزل والحنين والرثاء، في حين أُفرد المحور الثاني لدراسة (تجليات البداوة في شعر الحسين بن مطير) فقد كان للبداوة كطابع وسلوك حياة أثر وانعكاسات على شعره، وقد تجلت في ثلاثة أمور : خلو شعره من غرض الهجاء، وخلو ديوانه من الشعر السياسي، وضياع شعره وخمول ذكره، هذا وقد توصل البحث إلى أنَّ البداوة هي أبرز مظاهر شعر الحسين بن مطير، فقد كان شاعراً تشربت به البداوة روحاً وجسداً، ولغةً وأسلوباً، وتصويراً وتعبيراً .

مدخل :

البداوة لغة ((بفتح الباء وكسرها الإقامة في البادية، وهو ضد الحضارة، قال ثعلب : لا أعرف الفتح إلّا عن أبي زيد وحده، والنسبة إليها (بَدَاوي) ..... و (تبدَّى) الرجل أقام بالبادية، و(تبادى) تشبه بأهل البادية)) [1].

وإذا كان العصر العباسي قد شهد تطوراً في جميع ميادين الحياة، وكانت الحضارة بجميع جوانبها هي السمة الأبرز والمظهر الأشهر في هذا العصر، فمن الملفت للنظر والجدير بالذكر أن نجد شاعراً يعيش في أوج الحضارة العباسية ولكن البداوة تسكنه قلباً وقالباً، جسداً وروحاً، لفظاً ومعنى، تعبيراً وتصويراً .

فبالوقت الذي كان يسعى فيه أبو نواس ورفاقه المجدِّدون – بكلِّ عزمٍ وحزم – الى تجديد القصيدة العربية من خلال استبدال كثير من عناصرها القديمة كاللغة والأسلوب وهيكلية القصيدة وبنائها ولا سيما المقدمة، فقد دعا أبو نواس ورفاقه علناً إلى ترك لغة الصحراء ومفرداتها والاستعاضة عنها بألفاظ الحضارة العباسية التي تتسم بالعذوبة والرشاقة، كما دعوا إلى ترك المقدمة الطللية أو الظعنية التي افتتح بها الشعراء العرب الأوائل معظم قصائدهم

واستعاضوا عنها بمقدمات في وصف الخمر أو وصف الطبيعة[2] الخلابة التي حفلت بها القصور العباسية، في هذا العصر الذي طغت عليه معالم الحضارة المدنية الجديدة، كان الحسين بن مطير الأسدي يزداد تشبثاً بالبداوة ليظهر ذلك ويتجلى في شعره لغةً وأسلوباً، وتعبيراً وتصويراً، وأغراضاً شعرية .

هذا وقد حاول البحث تتبع مظاهر البداوة وتجلياتها في شعر الحسين بن مطير الاسدي، كاللغة والاسلوب، والوصف والتصوير، والأغراض والموضوعات، ولذلك اقتضت منهجية الدراسة تقسيم البحث على محورين، تناولا على التوالي مظاهر البداوة، وتجليات البداوة في شعر الحسين بن مطير الأسدي وفيما يلي تفصيل ذلك .

***المحور الأول : مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير الأسدي**

بالرغم من أنَّ الحسين بن مُطير قد كتب في ذات الأغراض الشعرية التي كان يكتب فيها شعراء عصره، إلا أنَّ البداوة كانت تطغى على أغراضه الشعرية، وهذا ما يميزه عن غيره من شعراء عصره الذين فتنوا بالحضارة فتركت بصماتها على شعرهم .

ومن هنا – فلسنا بجانب الصواب – إذا ما قلنا بأنَّ البداوة هي من أبرز سمات شعر الحسين بن مطير، ويمكن أن نرى ذلك فيما يأتي من الأغراض والموضوعات :

1. **الوصف** : وهو أكثر الأغراض الشعرية التي تطغى عليه مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير، لكثرة ما يتضمنه من ذكر لمشاهد الرحيل والعيس والحداة والهوادج، ووصف الأطلال البالية والوقوف عليها، ووصف الإبل، ووصف وحش الصحراء، وهي كلها من صور البيئة البدوية ولوازمها، وفيما يلي نماذج من وصفه البدوي :

- **وصف مشاهد الرحيل والأظعان** : تعد مشاهد الرحيل من أبرز معالم الحياة البدوية التي حرص الشعراء القدماء على وصفها وتصويرها، لما تنطوي عليه من معانٍ إنسانية تفيض بالعواطف والمشاعر، وقد برع الحسين بن مطير في وصف هذه المشاهد، ومن ذلك قوله :[3]

كأننا يا سليمى لم نلم بكم ... وتحتنا علسيات ملاجيجُ
ولم نقل يومَ سارت عيسكم عنقاً ... والدوسريُّ بجذب الساج مجروجُ
سقى سقى الله جيراناً لنا ظعنوا ... لما دنا من رياض الحزن تهييجُ
لم أخشَ بينهم حتى غدوا مزقاً ... واستوسقت بهم البزل العناجيجُ
فأحدث من خلفهم حاديهم غرداً ... وجددت دون من تهوى الهواديجُ

إن هذه الأبيات تفيض بروح البداوة ومعانيها، ويمكن للقارئ ان يتضح ذلك من خلال لغة القصيدة وأسلوبها، نحو قوله : ((عليسات، ملاجيج، عيسكم، الدوسري، ظعنوا، مزقاً، استوسقت، البزل، العناجيج، حاديهم، الهواديج)) وهي مفردات توحي بالبداوة، فضلاً عن الموضوع الذي عالجته، وهو الآخر أحد أهم مظاهر الطابع البدوي في شعر الحسين بن مطير الأسدي، ولعل ذلك هو الذي دفع ابن المعتز إلى إظهار إعجابه بهذه القصيدة والثناء عليها، بقوله : ((فهذا كما ترى شعر كأنَّه الديباج، بل نظم الدُّرِّ في حسن وصف وإحكام رصف))[4].

- وصف الاطلال البالية والوقوف عليها : ومن مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير الأسدي وصفه للأطلال البالية والوقوف عليها، نحو قوله :[5]

وبالبرق أطلال كأنَّ رسومها قراطيس رهبانٍ تلوحُ سطورها

وقوله :[6]

وبالبرقِ أطلال كأنَّ رسومها قراطيس خطَّ الحبرَ فيهنَّ ساطرُه

إنَّ تشبيه الأطلال وآثار الديار البالية برسوم القراطيس القديمة وما بقي من آثار الكتابة على الورق، هو تشبيه بدوي، وصورة قديمة تعاقب عليها كثير من شعراء العصر الجاهلي [7]، ونلاحظ أن الشاعر قد كرّر الشطر الأول والصورة ذاتها في قصيدتين مختلفتين، وهذا يدل على مدى تأثره بطابع البداوة وروحها، فللتكرار غرض فني في الشعر، فهو ((يضفي وحدة فكرية أو عاطفية على الأبيات، وهو يضع بأيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر، وبه يؤكد الشاعر غرضه ويبالغ فيه)) .[8]

وقوله في الوقوف على الأطلال :

خليليَّ من عمرو قفا فتعرفا لسهمةَ داراً بين لينة والحبلِ
تحملَ منها أهلها حين أجدبت وكانوا بها في غير جدبٍ ولا محلِ[9]

ومن ينعم النظر في هذين البيتين لا يجد كبير اختلاف بين هذا الشعر وبين مطالع الجاهليين في الوقوف على الاطلال والبكاء عندها .

وقوله ايضاً في وصف الديار الخالية التي أقفرت من أهلها وغيرّتها الأنواء وتقادم الزمن حتى صارت مرتعاً للظباء والغربان :

تلكم ديارهم بالقفِّ دارسةٌ يستن فيها عجاج الصيف والهوجُ
قفراً خلاء المغاني ما يظلُّ بها إلا الظباء وغربان مشاحيجُ
فيها أوارٍ وآثار بعرصتها وماثل ناحل في الدار مشجوجُ[10]

إنّ موضوع القصيدة / الأبيات، ولغتها وأسلوبها، وصورها، لتوحي كلها بحياة البداوة وطابعها، ومدى تأثر الشاعر بها، وقد صدق الدكتور محسن غياض حين عدَّ هذه القصيدة ((من أكثر الشعر بداوةً وأكثره غريباً)) .[11]

- **وصف وحش الصحراء :** ومن مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير الأسدي صوره البدوية المستوحاة من بيئة الصحراء ومشاهدها، ومن ذلك وصفه لوحش الصحراء إذا هطل المطر، واشتدَّ صوت الرعد فوقفت واجمة فزعة لا تجد لها مأوى تلوذ به :

يغشى الوحوش بمرسلٍ من مائه مثل الزقاق ملأتهن رياحا

وترى صفوف الوحش في حافاتها كثمود يوم رغا الفصيل فصاحا

وكأنَّ أصوات الحجيج عشيةً يبغون بالصوت الرفيع فلاحا

فيه وأصوات الروائم فارقت أولادها فلججن بعدُ رواحا [12]

إنَّ دقة وصف الشاعر لوحش الصحراء، واضطرابها من غزارة الامطار، وشدة قصف الرعود، وارتفاع اصواتها من شدة فزعها وهلعها، وتشبيه هذه الاصوات المرتفعة والمتداخلة بأصوات الحجيج في ضجيجها وقوتها، أو أصوات الحيوان المفارق لولده من الظباء وغيرها، هي كلها عناصر بدوية محضة، استمدها الشاعر واستوحاها من بيئة الصحراء، ليرسم لنا صورة فنية لوحشها وحيوانها .

- **وصف الإبل :** ولعل من أهم مظاهر البداوة وأبرزها في شعر الحسين بن مطير الأسدي وصفه الدقيق للإبل، التي تلقي بصغيرها قبل أوانه، فتمزق السباع ذلك الجلد الرقيق الذي يخرج الصغير ملفوفاً به من بطن أمه، حتى إنه ليشبه ثوباً يمانياً مضرجاً، وفي هذا يقول :

هُدل المشافر ايديها موثَّقة زجٌّ، وأرجلها زلٌّ هزاليجُ*

لما لقحن لماء الفحل أعلجها وقت النكاح فلم يتممن تخديجُ

تفري السباع سلى عنه تماشقه كأنَّه برد عصبٍ فيه تضريجُ [13]

إنَّ المعجم اللغوي للشاعر تطغى عليه ألفاظ البداوة ومفرداتها، نحو قوله : (**المشافر، زجٌّ، زُلٌّ، هزاليج، الفحل، تخديج، السباع، تفري، سلى، بردُ عصبٍ، تضريج**) . وقد يماً لاحظ الحصري القيرواني بداوة شعر الحسين بن مطير السدي، وكثرة غريبه فقال يصفه : ((**الحسين قويُ أسرِ الكلام، جزل الألفاظ، شديد العارضة**)) [14] .

وكان لهذا المعجم اللغوي أثره البالغ في تشكيل صور الشاعر وإضفاء روح البداوة وطابعها عليها، على نحو ما رأينا في الأبيات السابقة في وصفه للابل، وهي صورة كما يرى أحد الباحثين ((**مسرفة في البداوة، ولا يمكن أن تتاح لشاعر لم يعرف البادية ولم يقم بها، وهي تدل على صحبةٍ طويلة لحيوان البادية وملاحظة ذكية لحياته وصفاته وأطواره**)) . [15]

وهكذا كان غرض الوصف من أهم مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير الأسدي، من خلال الموضوعات التي صورها .

2. **الغزل** : وهو الغرض الثاني الذي تتجسد فيه مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير الأسدي، ولعل أبرز مظاهر البداوة في هذا الغزل هي (**العفة**)، فغزله بدوي عفيف، كان يسلك فيه مسلك العذريين من الشعراء، وقد عده الوشاء منهم، وقال عنه إنّه ممن اشتهر بالغزل والصبابة كابن الطثرية وابن الدمينة وجميل وكثير وغيرهم[16] . ومن ذلك قوله :

زارتك سلمة والظلماء داجية والعين هاجعة والروح معروجُ
فمرحباً بك من طيفٍ ألمَّ بنا وليس يا سلمُ بي في السِّلم تحريجُ
قالت تغيرتَ عن ودي فقلت لها لا والذي بيته يا سلمُ محجوجُ
ما أنس لا أنس منكم نظرةً سلفت في يوم عيدٍ ويومُ العيد مخروجُ[17]

وهذا النوع من الغزل كان يبدو غريباً في البيئة العباسية التي بدت تتخلى عنه جانباً لتتخذ غزلاً حضرياً مادياً لا يخلو من فحش ومجون وتهتك يصور جانباً من جوانب الحياة العباسية ويمثلها، ولعل الحسين بن مطير لم يكن ممثلاً للجانب الحضري في عصره، بقدر ما كان مقلداً لشعراء بني أمية من العذريين وممثلاً للجانب البدوي من عصره .[18]

ومن يقرأ شعر الحسين بن مطير الأسدي يجد فيه كثيراً من سمات وخصائص وموضوعات شعر العذريين مثل رقة الأسلوب، وذكر الصبابة والتشوق للمحبوب، والشكوى مما يلاقيه من نار الهوى، نحو قوله :

لقد كنتُ جلداً قبل ان توقد النوى على كبدي ناراً بطيئاً خمودها
ولو تركت نار الهوى لتضرمت ولكن شوقاً كل يومٍ يزيدها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها
وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي إذا قدمت أيامها وعهودها[19]

ومن سمات غزله البدوي العذري ايضاً، كثرة ذكره للوشاة والحساد، من مثل قوله :

ويا عاذلي لولا نفاسه حُبِّها عليك لما باليت أنَّك خابره[20]

وقوله :

ليهنك أني لم أطع بك واشياً عدواً ولم أصبح لقربك قاليا[21]

وقوله :

ولم نُكلِّمك في الحساد قد حضروا وفي الكلام عن الحاجات تخليجُ[22]

ومن مظاهر البداوة والعذرية في غزله تشبيه المحبوبة بالمهاة والظباء، ومن ذلك مثلاً قوله :

كأنَّ سليمى حين قامت فأشرفت بوجه أسيل زينته غدائره
غزالٌ سوى الأرداف والفرع والشوى ولكن لسلمى طرفه ومحاجره[23]

وقوله :

أيا طبية الوعساء أنتِ شبيهةٌ بذلفاء إلا أنَّ ذلفاء أجدلُ

فعيناكِ عيناها وجيدك جيدها وشكلك إلا أنها لا تعطلُ[24]

ومن سمات العذرية في غزل الحسين بن مطير – أيضاً – استعماله لأساليب وتشبيهات البادية في وصف محاسن المحبوبة، مثل تشبيه بياضها بالنهار المشرق وسواد شعرها بالليل المظلم، كقوله :

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جعدٌ أسحمُ

فكأنها فيه نهارٌ مشرقٌ وكأنّه ليلٌ عليها مظلمُ[25]

أو كتشبيه بياض وجه الحبيبة بغمامة الصيف البيضاء :

وفي الحيِّ غراء الجبين كأنّها غمامة صيفٍ مستهلٌّ صبيرها[26]

أو كقوله :

بمرتجة الأرداف هيف خصورها عذاب ثناياها عجاف قيودها

وصفرٌ تراقيها وحمر أكفها وسودٌ نواصيها وبيضٌ خدودها

مخصرةُ الأوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها

من البيض لا تخزى إذا الريح ألصقت بها مرطها أو زايل الحليُّ جيدها[27]

وهذه الاوصاف بمجملها هي أوصاف وتشبيهات بدوية، تبين المعايير الجمالية للمرأة العربية في مجتمع البادية، ولعل ذلك هو الذي جعل النقاد يثنون على هذا الغزل البدوي ولا سيما في القصيدة الدالية الاخيرة، فقال عنها ابو عبيدة بعد أن سمعها : ((والله لوددتُ أنَّ الشعراء قاربته فيه))[28] . بل لا تكاد تجد كتاباً من كتب الأدب أو البلاغة إلا وقد ذكر هذه الأبيات أو أشار إليها .[29]

ولعل طغيان خصائص العذرية وسماتها على غزل الحسين بن مطير هو الذي أدى إلى اختلاط شعره الغزلي بشعر غيره من العذريين، كما حدث لقصيدته الدالية المشهورة التي مطلعها :

لقد كنت جلداً قبل أن توقد النوى على كبدي ناراً بطيئاً خمودها[30]

فقد قال عنها النقاد القدماء : ((في هذا الشعر تخليط، منه أبيات لابن الدمينة وللحسين بن مطير، وقد اختار العلماء والمؤلفون من كلا الشعرين أبياتاً، وفي الشعر المذكور أبيات مجهولة لا يدرى قالها))[31]، وهذا المثل على سبيل الذكر لا الحصر، فهناك الكثير من اشعاره العذرية التي اختلطت بأشعار غيره من العذريين .[32]

إذن فغزل شاعرنا هو غزل البادية الذي يختلف عن الغزل العباسي – والذي كان في مجمله – غزلاً حضرياً مادياً لا يخلو من فحش ومجون وتهتك، وبذلك شكل هذا الغرض أحد أهم مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير الأسدي .

3- **الحنين** : وهذا الغرض هو الآخر من أبرز مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير، فقد تناثرت على صفحات ديوانه أشعارٌ في الحنين إلى نجد والتشوق للصحراء .

ولا عجب، فالحنين إلى الأوطان طبيعة في النفس البشرية، وقد ارتبط هذا الأمر - في الموروث العربي - بمفهوم الوفاء، وحسن الخلق، وكرم الأصل والمنبت، وسلامة الطبع، وفي هذا يقول الغزولي : ((إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل، وحسنَ عهده، وكرم أخلاقه، وطهارة مولده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه)) .[33]

ومن جميل شعر الحسين بن مطير في هذا الباب، قوله في الحنين إلى بادية نجد :

بكّرت عليَّ فهيجت وجدا هوج الرياح واذكرتُ نجدا
أتحن من شوق إذا ذكرتْ نجدُ وأنت تركتها عمدا [34]

كقوله في الشوق إلى يثرب وباديتها :

أحنّ ويثنيني الهوى نحو يثرب ويزداد شوقي كلَّ ممسى وشارقِ
كذاك الهوى يزي بمن كان عاشقاً ونولُ الهوى يحنو على كلِّ عاشقِ[35]

ويمتلئ قلب الشاعر شوقاً، وتفيض عيونه دمعاً حين يرى منازل البادية وشعابها، فيقول :

عرفت منازلاً بشعاب شرجٍ فحيَّتُ المنازل والشعابا *
منازلُ هيجت للقلب شوقاً وللعينين دمعاً واكتئابا [36]

إن هذا الحنين إلى صحراء نجد وبواديها هو من مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير الأسدي، وهذه الأشعار هي ((تعبير عمّا كان يحسه هو وغيره من شعراء البادية إذا ابتعدوا عنها وشعروا بالغربة بين أهل المدن والحواضر))[37].

4- **الرثاء** : بالرغم من أنَّ هذا الغرض لم يصلنا منه إلا قصيدة واحدة للحسين ين مطير الأسدي، وهي في رثاء معن بن زائدة، إلا أنَّها جاءت حافلة بمظاهر البداوة، لغةً وأسلوباً وصوراً ومعانٍ، ومن ذلك مثلاً الدعاء لقبر الميت بالسقيا :

أُلُمَّا على معنٍ وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعاً ثمَّ مربعا [38]

والعجب للحفرة التي ضمت المرثي وقد كان كالبحر جوداً وكرماً :

فيا قبر معن أنت أولُ حفرةٍ من الأرضِ خطّت للمكارم مضجعا
ويا قبر معنٍ كيف واريت جوده وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميتٌ ولو كان حياً ضقت حتى تصدّعا [39]

وأنَّ الكرم مات بموته، وانقطع الخير عن الناس بذهابه :

ولما مضى معنٌ مضى الجود وانقضى وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وما كان إلا الجود صورة وجهه فعاش ربيعاً ثم ولى وودعا

وكنت لدار الجود يا معن عامراً وقد أصبحت قفراً من الجود بلقعا [40]

وبالرغم من أنَّ المرثي قد لاقى منيته إلا أنَّ بيض صنائعه وكريم خصاله أبت أن يموت ذكره بين الناس :

أبى ذكر معنٍ أن تموت فعاله وإن كان قد لاقى حماماً ومصرعا [41]

وهذه الصور والمعاني هي بمجملها بدوية، فالشاعر لم يخرج في هذا عن سُنن الشعراء الجاهليين، كما أنَّ معجمه الشعري جاء حافلاً بمفردات البداوة وألفاظها، مثل (الغوادي، مربعا، مضجعا، مترعا، الجود، عرنين، أجدعا، ولى، قفراً، بلقعا، حماما) .

إنَّ غلبة طابع البداوة وروحها على صور ومعاني ولغة وأسلوب هذه المرثية هو سبب ذيوعها وشهرتها وتناقلها في كتب الأدب والتاريخ، وهو - أيضاً - سر إعجاب النقاد القدماء بها غاية الإعجاب، حتى قال عنها أبو هلال العسكري : ((إنها أرثى ما قيل في الجاهلية والإسلام))[42]، ووصفها ابن خلكان بأنها : ((من المراثي النادرة))[43]، وقال ابن الأثير إنها : ((أعجب ما سمعتُ في هذا الباب)) .[44]

وهكذا شكلت هذه الأغراض (الوصف، الغزل، الحنين، الرثاء) بلغتها وأسلوبها ومعانيها وصورها أهم وأبرز مظاهر البداوة وروحها وطابعها في شعر الحسين بن مطير الأسدي .

المحور الثاني : تجليات البداوة في شعر الحسين بن مطير الأسدي *

تناول المحور الأول من البحث مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مطير، والتي ظهرت بوضوح في لغة الشاعر وأسلوبه ومعانيه وصوره، على نحو ما رأينا في أغراضه الشعرية كالوصف والغزل والحنين والرثاء.

أما هذا المحور فسيعالج تجليات البداوة في شعر الحسين بن مطير، من خلال تتبع البداوة عند الشاعر بوصفها طابعاً وسلوكاً وانعكاسات ذلك على شعره، وأثرها فيه .

وبعد الدراسة والتقصي توصل البحث إلى أنَّ انعكاسات البداوة على شعر الحسين بن مطير قد تجلت في ثلاثة أمور، وفيما يلي تفصيل ذلك :

1- خلو شعره من غرض الهجاء : ونلاحظ أنَّ شعر الحسين يخلو من غرض كبير لا نكاد نعرف شاعراً عباسياً ترفع عنه، وهو غرض الهجاء، الذي كان يتخذه الشعراء وسيلة للكسب والابتزاز، وسلاحاً يحمي الشاعر من خصومه ومنافسيه .[45]

ونحن لا نجد للحسين بن مطير بيتاً واحداً في هذا الغرض، وقد عزا الدكتور محسن غياض ذلك إلى ((كرمٍ في خلق الرجل، وعفةٍ في طبعه))[46]، وهذا يدل على مدى تأثره بروح البادية، وسمو سجاياها، وصفاء فطرتها، وقد أشار هو إلى هذا غير مرةٍ في شعره، ومن ذلك قوله :

أُحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلماً وشر الناس من يهوى السبابا
وأترك قائل العوراء عمداً لأهلكه وما اعيى الجوابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا[47]

ويضيف محقق الديوان سبباً آخر لخلو شعر الحسين بن مطير من غرض الهجاء، وهو أن الشاعر كان يسكن البادية، وهذا ما يجعله بعيداً عن العاصمة، وما كان يدور فيها بين الشعراء من خصومات وحسد ومنافسة، وهو بذلك غير مضطر إلى الهجاء طالنا كان بعيداً عن مسرح الأحداث في عصره وزمانه، وطالما لم يتعرض له أحد بصغير من المكروه أو كبير .[48]

2- **خلو ديوانه من الشعر السياسي** : وهو أيضاً من تجليات وانعكاسات البداوة، فابتعاد الحسين بن مطير عن العاصمة والحواضر كان سبباً - أيضاً - في عدم وجود شعر سياسي له[49]، على ندرة الشعراء الذين لم ينغمسوا في الخصومات السياسية والحزبية في عصره، بتأثير نشأتهم في المدن التي كانت مراكز لهذه الخصومات والتيارات المختلفة، أو بتأثير كثرة ترددهم عليها .[50]

3- **ضياع شعره وخمول ذكره** : بالرغم من أنَّ الحسين بن مطير كان كثير النظم، جيد الشعر، نابه الذكر، يشهد له بذلك نقاد وأدباء عصره، فهذا ابن المعتز يقول بأنَّ الحسين كان ((**من المكثرين المجيدين المعروفين**))[51]، وذكر ابن النديم أنَّ للحسين ديواناً في نحو مائة ورقة .[52]

ولكن هذا الشعر قد ضاع معظمه، أو سقط من أيدي الزمن، كغيره من كنوز العربية وتراثها الأدبي، ولم يبقَ منه إلا جزءٌ يسير جمعه وحققه الدكتور محسن غياض تحت عنوان (**شعر الحسين بن مطير الأسدي**) والذي كان عماد هذه الدراسة ومصدرها الأساس، كما أنّ الشاعر لم يأخذ حظه من الشهرة والذيوع والانتشار أسوةً بشعراء عصره الأعلام . ولو تساءلنا ما السبب وراء ضياع شعر الحسين بن مطير وخمول ذكره رغم ثناء العلماء والأدباء عليه وعلى شعره ؟ والحقيقة أنَّ البداوة وانعكاساتها على الشاعر وشعره هي أحد أهم أسباب هذه الظاهرة .

ولذلك يرى الدكتور محسن غياض انَّ الأسباب التي أخملت ذكر الحسين بن مطير هي نفسها التي ساعدت في ضياع شعره، وقد ردَّ ذلك إلى أن الشاعر ((**كان مقيماً في البادية بعيداً عن حياة العاصمة وأضوائها، وصراع الشعراء فيها طلباً للتفوق والشهرة والمجد، وكان لأهل بغداد من كثرة الشعراء النابهين ما يشغلهم عن الاهتمام بشعراء البادية، وتتبع أخبارهم، وتدوين شعرهم**)) .[53]

وهكذا كان للبداوة تجليات انعكست آثارها على شعر الحسين بن مطير وقد تجسد ذلك في خلو شعره من غرض الهجاء، وخلو ديوانه من الشعر السياسي، وأخيراً خمول ذكره وضياع شعره، وبهذا تكون البداوة من أبرز مظاهر شعر الحسين بن مطير الأسدي .

الاحالات والهوامش :

* هو الحسين بن مطير بن مكمل مولى بني أسد بن خزيمة، وكان جده مكمل عبداً فاعتقه مولاه، ولد في حدود سنة (100 هـ)، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ومنزله بجوار زُبالة وهي موضع بطريق مكة من الكوفة، لم تذكر المصادر شيئاً كثيراً عن مولده ونشأته واسرته سوى ولد له اسمه مُطير ذكره ياقوت، وفد على الوليد بن يزيد مع مروان بن أبي حفصة، ثم اتصل بالمهدي ومعن بن زائدة ومدحهما، توفي سنة (170 هـ) . ينظر في ترجمته : الأغاني، أبو فرج الاصفهاني : 16 / 17، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي : 10 : 166، وخزانة الأدب، البغدادي : 2 / 485، وعيون التواريخ، ابن شاكر : 5 / 507 .

1 - مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي : 41 – 42 .

2 - ينظر : الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد : 21 – 27، 73 – 87 .

* علسيات : نسبة إلى بني علس . ملاجيج : ألجت الإبل إذا صوتت . الدوسري : القوي من الإبل . السياج : شجر صلب الخشب . الحزق : الجماعات . العناجيج : الابل النجيبة . استوسقت : استجابت لطردها . الهواديج : جمع هودج .

3 - شعر الحسين بن مطير الاسدي، تح : د. محسن غياض : 37 – 38 .

4 - طبقات الشعراء، ابن المعتز : 115 .

5 - شعر الحسين بن مطير : 50 .

6 - المصدر نفسه :57 .

7 - ينظر مثلاً : ديوان امرئ القيس : 89، وديوان بشر بن ابي خازم : 137، وديوان عنترة بن شداد : 394، وديوان عبيد بن الابرص : 67، وديوان زهير بن ابي سلمى : 193 – 194 .

8 - لغة الشعر عند بدر شاكر السياب، فاروق مواسي : 101 – 102 .

9 - شعر الحسين بن مطير : 67 .

10 - المصدر نفسه : 38 .

11 - المصدر نفسه : توطئة المحقق : 15 .

12 - المصدر نفسه : 42 .

*زج : جمع ازج وزجاء وهو الطويل الساقين . زل : جمع أزل وزلاء وهو الخفيف الوركين . الهزاليج : السريعة . تخديج : خدجت الناقة، ألقت ولدها قبل أوانه . تماشقه : تمزقه، ومشق الثوب : مزقه .

13 - شعر الحسين بن مطير : 39 .

14 - زهر الآداب : 2 / 98 .

15 - شعر الحسين بن مطير، توطئة المحقق : 18 .

16 - ينظر : الموشى : 69، وطبقات الشعراء : 114، والأغاني 16 / 17 .

17 - شعر الحسين بن مطير : 39 .

18 - ينظر : المصدر نفسه، توطئة المحقق : 12 .

19 - المصدر نفسه : 44 .

20 - المصدر نفسه : 55 .

21 - المصدر نفسه : 75 .

22 - المصدر نفسه : 37 .

23 - المصدر نفسه : 54 .

24 - المصدر نفسه : 65 .

25- المصدر نفسه : 72 .

26- المصدر نفسه : 50 .

27- المصدر نفسه : 44 – 45 .

28- الأغاني : 16 / 25 .

29- ينظر : العمدة، ابن رشيق القيرواني : 2 / 10 – 11، والصناعتين، ابو هلال العسكري : 312، 402 .

30- شعر الحسين بن مطير : 44 .

31- سمط اللآلي، البكري : 1 / 178 .

32- ينظر : شعر الحسين بن مطير : 57، 72، 75 . (الهوامش وتخريج الاثبات) .

33- مطالع البدور في منازل السرور : 2 / 292 .

34- شعر الحسين بن مطير : 49 .

35- المصدر نفسه : 63 .

*شرج العجوز : موضع قرب المدينة . (ينظر : معجم البلدان، ياقوت الحموي : 5 / 251) .

36- شعر الحسين بن مطير : 36 .

37- المصدر نفسه : توطئة المحقق : 14 .

38- المصدر نفسه : 60 .

39- المصدر نفسه : 60 .

40- المصدر نفسه : 60 – 61 .

41- المصدر نفسه : 61.

42- ديوان المعاني : 2 / 176.

43- وفيات الأعيان : 5/ 254 .

44- الجامع الكبير : 95 .

45- ينظر : الأدب العربي في العصر العباسي : 30 – 33 .

46- شعر الحسين بن مطير : توطئة المحقق : 14 .

47- المصدر نفسه : 35 .

48- ينظر : المصدر نفسه : توطئة المحقق : 15 .

49- ينظر : المصدر نفسه : 15 .

50- ينظر : العصر العباسي الاول، د. شوقي ضيف : 290 – 340، والعصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف : 369 – 399 .

51- طبقات الشعراء : 119 .

52- ينظر : الفهرست : 163 .

53- شعر الحسين بن مطير : توطئة المحقق : 10 .